التراث العربي

مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد المزدوج ١٢٣-١٢٤ خريف ٢٠١١ شتاء ٢٠١٢ السنة الحادية والثلاثون

في هذا العدد:

أ. د. حسين جمعة — الوحدة الفنية في الشعر الجاهلي. زهير أنموذجاً.

د. سكينة موعد — ما ذكر في تفصيل أحوال الشجاع من ألفاظ، دلالتها ومعانيها

د. أحمد فوزي الهيب — مشروع تنظيم اختيار المخطوطات لتحقيقها وتطويره.

ملف العدد "دراسات بلاغية" وفيه:

أ.د. عبد الفتاح محمد — الظواهر الأسلوبية في القرآن الكريم

د. خلدون صبح — بلاغة المثل في القرآن الكريم

د. أحمد ويس — فكرة الاختيار وموقعها من التنظير الأسلوبي في التراث العربي

د. محمد هيثم غرة — أبيات المتنبي في دلائل الإعجاز

د. منيرة فاعور — فن الإيجاز في أدب التوقيعات

د. خالد زغريت — الأسس البلاغية لبنية القيمة الجمالية للسحاب في الشعر الجاهلي

أ.د. عبد الفتاح محمد — اسم المفعول في لغة القرآن الكريم (دراسة أسلوبية أدائية)

-- المحتوى --

١	الافتتاحية:	أ.د. راتب سكر	٧
	ملف العدد: دراسات بلاغية		
٢	اسم المفعول في لغة القرآن الكريم (دراسة أسلوبية أدائية)	أ.د. عبد الفتاح محمد	١٣
٣	بلاغة المثل في القرآن الكريم	د. خلدون صبح	٣٥
٤	فكرة الاختيار وموقعها من التنظير الأسلوبي في التراث العربي	د. أحمد ويس	٤٣
٥	أبيات المتنبي في دلائل الإعجاز	د. محمد هيثم غرة	٦٥
٦	فن الإيجاز في أدب التوقيعات	د. منيرة قاعور	٨٧
٧	الأسس البلاغية لبنية القيمة الجمالية للسحاب في الشعر الجاهلي	د. خالد زغريت	١٠٧
٨	المعنى البلاغي	د. عبد العليم بوفاتح	١٢٧
٩	القلب البلاغي	محمود جابر	١٤٧
١٠	ترجمان البلاغة بين التأثر بالبلاغة العربية والتأثير في الفارسية	مهدي محمدي نجاد	١٥٩
11	بلاغة الصورة المجازية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت الأنصاري	حميد قبايلي	١٨٣
	بحوث العدد		
١٢	الوحدة الفنية في الشعر الجاهلي - زهير أنموذجاً -	أ.د. حسين جمعة	٢١١
١٣	الفكر التربوي عند الغزالي من الشك المنهجي إلى اليقين	أ.د. عبد الله المجيدل	٢٣٧
١٤	صورة دمشق عند جلال الدين الرومي	د. حيدر خضري	٢٥٩
١٥	تجليات وجدانية في الحب الإلهي عند جلال الدين الرومي	د. ميادة ألتونجي	٢٧٥
١٦	حوار الخطابات في ثمرات الأوراق فيما طاب من الأوراق	د. سمر الديوب	٢٩٣
١٧	ما ذكر في تفصيل أحوال الشجاع من ألفاظ: دلالتها ومعانيها	د. سكينة موعد	٣١٣
	أوراق تراثية		
١٨	أخبار التراث	أ.د. عبد الإله نبهان	٣٢٧
19	قراءة في مواد الأعداد الماضية: قراءة في المستدرك على ديوان أبي تمام	أ.د. صلاح كزارة	٣٣٩
20	كُتْب وكُتاب: (أبو علي القالي)	أ.د. عمر الدقاق	٣٥١
٢١	آخر الكلام: (مشروع تنظيم اختيار المخطوطات لتحقيقها وتطويره)	أ.د. أحمد فوزي الهيب	٣٥٩

التراث العربي
124 ـ 123

اسم المفعول
في لغة القرآن الكريم
(دراسة أسلوبية أدائية)

أ.د. عبد الفتاح محمد (*)

المقدمة:

عدد وافر من البحوث والدراسات المعاصرة تناول (الأسلوب) و(الأسلوبية) نشأةً وتطورًا، مفهومًا ومصطلحًا، روادًا ومدارس، سماتٍ ومحدِّداتٍ، وصلاتٍ بعلوم أخرى كالبلاغة، وعلم اللغة، والنقد الأدبي، والنص الأدبي، وعلم النفس، وعلم الإحصاء.... وفي الكتب المصنفة لهذه القضايا ما يغني عن إعادة القول فيها(١)

ولعل مما يجدر ذكره مما له صلة بالقرآن الكريم، وعلم الأسلوب والأسلوبية ما يلي:

١ـ احتفى الدرس العربي منذ القرن الثاني الهجري بدراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني التي استدعت – بالضرورة – ممن تعرضوا للتفسير أن يتفهموا مدلول كلمة (الأسلوب) عند الموازنة بين أسلوب القرآن الكريم، وغيره من أساليب الخطاب. فقد كان لجهود أبي عبيدة (ت ٢١٠ هـ)، والأخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢٠٧ هـ)،

(*) أستاذ في قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب الثانية ـ جامعة البعث، وعضو جمعية البحوث في اتحاد الكتاب العرب.

(١) انظر: علم الأسلوب ١-١٣ وما بعدها، والأسلوب والأسلوبية ٢٠، والبلاغة والأسلوب ١٣٠، وشفرات النص ٨٠، والأسلوبية منهجًا نقديًا ١١٠، والأسلوبية وتحليل الخطاب، والبحث الأسلوبي ٢٥، وحول الأسلوبية الإحصائية ١٢٢.

والفراء (ت ٢٠٨ هـ) أثر في إثراء مفهوم الأسلوب على الرغم من تباين الأهداف التي سعوا إليها.(١)

٢ــ ثمة خصوصية في أسلوب القرآن الكريم لا يمكن تجاهلها، فهذا الكتاب العربي المبين، الذي أُحكمت آياته... صدر عن تصور كلي باللغة متجاوز. وهذا لا يتاح للبشر في نصوصهم التي صدرت عن تصور جزئي مما يدعوهم لمعاودتها تغييرًا، وتطويرًا، كلما سنحت الفرصة لهم بذلك.

٣ــ ثمة هدف محوري كلي مبثوث في القرآن كله؛ ذلك (أن جملة ما في القرآن من مختلف المواضيع والمعاني الجزئية، إنما يدور جميعه على معنى كلي واحد، هو دعوة الناس أن يكونوا عبيدًا لله بالفكر والاختيار كما خلقهم عبيدًا بالجبر والاضطرار، وأن يدركوا أن أمامهم حياة ثانية بعد حياتهم هذه... فالقرآن شأنه أن يبث هذا المعنى الكلي الخطير من خلال جميع ما يعرضه من الأبحاث والمواضيع المختلفة من تشريع، ووعد ووعيد، وقصة، وأمثلة ووصف، وإنما يتحقق ذلك بهذا النسق الذي جرى عليه من التداخل والتمازج في المعاني)(٢)

٤ــ يتصف أسلوب القرآن الكريم بسمات أسلوبية منها: مجاوزة الأنماط السائدة في الحبك والسبك. والخصائص الإيقاعية والتركيبية والدلالية والوجدانية. اقتصاد باللفظ، ووفاء بالمعنى، إقناع وإمتاع، بيان وإجمال، تأثير في النفوس، وسلطان على القلوب، استثمار الألفاظ القليلة للتعبير عن القضايا الكبرى، احتمال النص لمعاني كثيرة، واستحضار المشاهد، وتجسيم الأحداث.

في ضوء هذا ستتم دراسة أسماء المفعول في القرآن الكريم في عموم سياقاتها التركيبية والدلالية والإيقاعية... ومما تكشف لي في ضوء ما سبق، القضايا الأسلوبية التالية :

أ- انتظام أسماء المفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على النعيم المقيم.
ب-انتظام أسماء المفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على العذاب الأليم.
ت-إيثار اسم المفعول على فعله المبني للمجهول.
ث-اسم المفعول ومناسبة السياق العام.
ج- اسم المفعول والتوكيد.
ح- اسم المفعول والنفي.

---

(١) انظر: الأسلوب والأسلوبية بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية ١-١١

(٢) الإعجاز في نظم القرآن الكريم ١٠٩ – ١١٢

وفيما يلي بيان القول في هذا كله:

أ ـ انتظام أسماء المفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على النعيم المقيم:

نعيم الجنة – بوصفه جزءًا من المعنى الكلي الذي سبقت الإشارة إليه – قدمه البيان الإلهي في مشاهد كثيرة بأسلوب من سماته: الجودة في السبك، والإحكام في السرد، والعذوبة في السياق، والجمال في النظم، ومخاطبة العقل والقلب، والترابط في الأجزاء، وتصوير المعاني في الذهن، وإبرازها في مشاهد كأنها حاضرة، والتأثير في الوجدان، والعامة والخاصة... في ضوء هذه السمات يمكن رصد أسماء المفعول في السياقات التي تتناول النعيم المقيم كما قدمته مشاهده المتعددة، ومنها: **أثاث الجنة، وشرابها، وثمارُها، وإنسانُها:**

أما ما جاء صفة في **الأثاث** الفاخر المريح المُرَتَّب الجميل، فمنه: سرر أهل الجنة التي وُصفت بأنها: {مصفوفة}، أي جُعِلَتْ على خطوط مستوية، و{مرفوعة}، والرَّفْعُ يقال في الأجسام الموضوعة إذا أعليتَها عن مَقَرِّها، وتارةً في المنزلةِ إذا شرَّفْتَها[1] وأفضلُ السُّرر ما كان مرفوعًا، و{موضونة} بمعنى مُحْكَمَةٍ كأنَّ بعضَها أُدْخِلَ في بعض، أو مُشَبَّكَةٍ بالذَّهب. أو كالفُرُشِ التي وُصفت بأنها {مرفوعة}، أي: شريفة[2]، وكالزَّرابيِّ – وهي البسط، أو الطَّنافس التي لها خمل رقيقٌ – التي وُصِفت بأنها {مبثوثة}، بمعنى مبسوطة، أو مفرَّقةٌ في المجالس[3]، لمن أراد الجلوسَ عليها[4]. وهكذا نرى أن أسماء المفعول جاءت ضمن سياقات لغوية فنية جمالية تواصلية؛ الصورة كانت بصرية لكنها تخترق الحدود المرئية، بدا فيها التصوير السيمولوجي، أي الصورة الأيقونة (السرر، البسط، الوسائد) أكثر ظهورًا. والوصف الذي تحمله أسماء المفعول أضفى على الأيقونة جمالاً ظاهرًا؛ اصطفافًا، وزينة، ورفاهة. والوصف (مرفوعة)، بمعنى شريفة فيه جمال كامن متجذر، وكذلك فيه مجاوزة للمعنى المعجمي إلى رحاب اللغة السياقية. واسم المفعول لغةً وصورةً وجمالاً وفنًا يشكل قيمة تواصلية، تأثيرية، هدفها المتلقي بوصفه في جوهره كائنًا عاطفيًا قبل أي شيء آخر. والصورة الجميلة تفعل فعلها فيه، وإن بدت متخيلةً.

---

(١) المفردات: (رفع)

(٢) المفردات: (رفع)

(٣) المفردات: (ختم)

(٤) انظر: الغاشية ١٤

أما **شرابها** فقد وصف بأنه من رحيقٍ {مختوم} ؛ «تُخْتَمُ أوانيه من الأكواب والأباريق بمسكٍ»[١]، وقال الراغب: «ليس ذلكَ معناهُ، وإنما معناه: مُنْقَطَعُهُ، وخاتمةُ شُرْبِهِ، أي: سُؤْرُهُ في الطيب مسكٌ... ولاينفعُهُ طِيْبُ خاتَمِهِ ما لم يَطِبْ في نفسه»[٢] فشراب أهل الجنة يتجاوز أن يكون لدفع غائلة العطش، إلى أن يكون لذة للشاربين، فهو بهذا يطمئن حاسة أخرى في الإنسان وهي حاسة التذوق التي تغدو هانئة بما نالت، وأين هذا من الشراب الذي يشوي الوجوه، ويقطع الأمعاء. وأواني الشرب أكواب (مَّوْضُوعَةٌ)[٣] بين أيديهم، أو على حافّات العيون الجاريات، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى[٤].

والسياقات التي ورد فيها ذكر الأكواب تذكر أن في الأكواب ما تشتهيه الأنفس، وتلذُّ الأعين، ليس في محتواها فحسب بل في شكلها أيضًا. ومعلوم أن ما يطمئن غير حاسة يشتمل على قدر أكبر من السعادة والهناءة. وهذا مما عني به الخطاب القرآني في القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظَّمة الفاعلة.

وأما **فواكهُها** الكثيرةُ فقد وصفت بأنها ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾[٥]، وطلْحها بأنه {منضود}[٦]، أي: مُلْقى بعضُهُ على بعض، وسِدْرُها بأنه {مَخْضود}[٧]، أيْ: مكسور الشوك. وفهم دلالة فواكه الجنة إنما يتبدى في السياقات القرآنية التي ذكرت فيها: فهي دائمة، متاحة، كثيرة، متنوعة، آمنة، مُشتهاة، تُؤكلُ تلذذاً، لا لحفظِ صحة، وأسماء المفعول لها إسهامها من هذه القيمة الأدائية الإبلاغية في عملية التواصل بين المرسل والمتلقي.

وأما **أهل الجنة** من البشر؛ فمنهم {المقرَّبون}، وهي مكانة عالية بدليل أنها أُطلقت على أهل الحظوة من الملائكة والأنبياء؛ فقد كان عيسى عليه السلام ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[٨]، وجُعِلَتْ {تَسْنِيْمُ}، ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[٩]. والنساء فيها ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[١٠]، والكِنُّ ما يُحْفَظُ فيه الشيءُ[١]، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[٢]،

---

(١) الطبري ١٢/٥٥٥
(٢) انظر الواقعة ٣٣
(٣) انظر الواقعة ٢٩
(٤) انظر الواقعة ٢٨
(٥) انظر: الواقعة ٣٣
(٦) انظر: الواقعة ٢٩
(٧) انظر: الواقعة ٢٨
(٨) آل عمران ٤٥
(٩) المطففون ٢٨
(١٠) الصافات٤٩

أي: مطهرات من دَرَنِ الدنيا وأنجاسِها[٣]، ومن يقوم على خدمة أهل الجنة غلمانٌ لهم ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾[٤] من النضارة، والصَّباحةِ، والصيانة[٥]، وفي آية أخرى وصفهم الله بقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً﴾[٦]، أي: تحسبهم من حسنهم وبياضِ وجوههم وكثرتِهم لؤلؤاً مُبَدَّدًا[٧]، واللؤلؤ إذا نُثِرَ على بساط كان أحسنَ منه منظومًا.[٨]

وقد يتم التعبير باسم المفعول عن أمور معنوية كقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[٩]، والإكرامُ :هو أن يُوصل إلى الإنسان نفعٌ لا يَلْحقُهُ فيه غضاضةٌ، أو أَنْ يُجْعَلَ ما يُوصَلُ إليه شيئًا كريمًا؛ أي شريفاً، فكيف إذا كان المكرِمُ هو الله عز وجل، وإذا وُصِفَ تعالى بالكرم، فهو اسم لإحسانه وإنعامِهِ المُتظاهر.[١٠]

وهكذا نرى أن أسماء المفعول حملت قيمًا إخبارية ذات أبعاد دلالية وتعبيرية وتأثيرية هدفها إنسان الدنيا وإن كان الحديث عن إنسان الجنة بما اتصف من: **قُرب، وحفظٍ، وطهارة، ونضارة، وصباحة، وحُسْنٍ، وإكرام.** وبذلك تصبح اللغة مفرداتٍ وتراكيبَ حاملة لمضمون مشحون دلاليًا، يجعل المتلقي يتأثر به.

ولو مضينا في سرد المواضع التي جاء فيها اسم المفعول في وصف مشاهد النعيم المقيم، لطال بنا المقام، لكن لابد من ذكر بعض الملحوظات التي تفيد في مقاربة ما نحن فيه، وهي:

_ أن أسماء المفعول انتظمت في ظاهرة أسلوبية فدلت على مشاهد من النعيم المقيم أثاثًا، وشرابًا، وفاكهة، وإنسانًا، وكانت مشحونة بصفات حسية ومعنوية تتجاوز المعهود من مثيلاتها في الحياة الدنيا.

_ جاءت أسماء المفعول مشحونة بقيم إخبارية، إبلاغية، تعبيرية، تأثيرية.

_ لا شك في أن اسم المفعول في جانبه الأدائي التعبيري يشترك مع الفعل المبني للمجهول في الإبهام، فمشاهد النعيم المقيم، فوق التصور؛ ففيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ

---

(١) المفردات: (كنّ)
(٢) والبقرة ٢٥، وآل عمران ١٥، النساء ٥٧
(٣) المفردات (طهر)
(٤) المفردات: (طهر)
(٥) الطور ٢٤
(٦) انظر: مشاهد يوم القيامة ١٥٩
(٧) الإنسان ١٩
(٨) تفسير الطبري ١/ ٣٦٩
(٩) تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٨
(١٠) المعارج ٣٥

سمِعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر، والقرآن الكريم يتحدث عن مَثَل الجنة، فهي مبهمةٌ لقُدراتنا الإدراكية، والتعبيرُ باسم المفعول فيه قَدْرٌ من الإبهام تَتِمُّ به محاكاةُ تلك المشاهد، يُعَزِّزُ الإحساسَ بذلك القدر من الإبهامِ الآتي:

ــ مجيءُ اسمِ المفعول صفةً لموصوفٍ نكرةٍ في الأعم الأغلب، ومعلوم أن في النكرة إبهاماً، سواء أكانت صفةٌ، أم موصوفاً.

ــ إن نعيم الجنة مخلوق على هيئة معينة ليس من اليسير علينا أن ندرك أسرار تكوينها، فنحنُ مثلاً نعلم أن فواكه الدنيا تكون على أُمَّاتها في أوقاتٍ دون أخرى، أما فواكُهُ الجنة فهي لا مقطوعة ولا ممنوعة، أي: لا مقطوعة في أي وقت من الأوقات، كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء، ولا ممنوعة، أي: لا يُمْنَعُ من أرادَها بشوكٍ ولا بُعْدٍ ولا حائطٍ، وقيل: ليست مقطوعةً بالأزمان، ولا ممنوعةً بالأثمانِ [١]. ونحن نعلم أنَّ الظِّلَّ هو الموضعُ الذي لم تصل إليه الشمسُ، ولكن أنّى لنا أن ندرك تأويلُ قوله: {وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ}[٢]، مَّمْدُودٍ}[٢]، في كَوْنٍ لا شمسَ فيه. وعلى هذا فإنَّ القرآن الكريم يقدِّمُ النعيمَ المقيمَ على سبيل سبيل التمثيل والتقريب.

*- يختلف أهل التفسير في دلالات كثير مما يخص مشاهد اليوم الآخر، ولا سيما ما جاء منها بصيغة الفعل المبني للمجهول، واسم المفعول، كاختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[٣]، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[٤]، فقد قيل: أُضْرِمَ نارًا، وقيل: غِيْضت مياهُهُ.[٥]، واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾[٦]، فقيل: مُخَلَّفُون مَتْروكون في النار، وقيل: مَنْسيون مُضيَّعون، وقيل: مُعَجَّلون إلى النار، مَقَدَّمون إليها.[٧] مما تقدم نرى أن أن اسم المفعول له إسهام غني في الدلالة على النعيم، وتلك الجنةُ كما رَسَمَها القرآنُ **نعيمٌ مقيمٌ، ولذَّةٌ دائمةٌ، ومُتْعَةٌ لا تَنْفَدُ.** وعلى هذا فإن دلالة هذه الصفات على الثبوت والاستمرار أمر لا يخفى. وإذا كان اسم المفعول يشترك مع الفعل المبني للمجهول في الدلالة، فإنه اختلف عنه بأن احتفظ لنفسه بالدلالة على الثبوت والاستمرار في مقابل احتفاظ الفعل بالدلالة على الحركة والتجدُّد. وهذا الذي تقدم لا يعني بحال من الأحوال

(١) تفسير القرطبي ١٧/ ١٨٠
(٢) الواقعة ٣٠
(٣) التكوير ٦
(٤) الطور٦
(٥) انظر: المفردات: (سجر)
(٦) النحل ٦٢
(٧) انظر: تفسير الطبري :٧/٦٠١، ٨/ ٢٠

إغفالَ دورِ الصيغ الأخرى، أو التقليلَ من وظيفتها التعبيرية في وصف نعيم الجنة، فإذا كان القرآن قد وصف النساء في نعيم السابقين وهم أعلى الخلق بأنهن: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾[١]، ووصفهن في نعيم أصحاب اليمين، بأنه: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٢]، فإن الدكتور السامرائي يرى أن اسم الفاعل (قاصرات) أبلغ في الدلالة على النعيم من اسم المفعول (مقصورات)[٣].

وقد جاءت صيغة (فَعيل) مشتملة على قيمة تعبيرية أكثر من (مفعول) في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾[٤] فقد «أُقيم فَعِيلٌ مقام مفعول لأنه أبلغُ منه، منه، ولهذا لا يُقال لمن جُرِح في أنملته جَريح، ويقال له: مجروح»[٥]، ومن هذا مَكسور وكسيرٌ، ومقتولٌ وقَتيل، ومحمودٌ وحميد، ومكحولٌ وكحيل، ومن هذا يتبين أن (فعيلاً) تفيد الشدة والمبالغة في الوصف، وأن (مفعولاً) تدلُّ على الشّدَّةِ والضَّعْفِ.[٦]

أ- انتظام أسماء والمفعول في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على العذاب الأليم :

كذلك فإن بعض أسماء المفعول قد انتظمت في ظاهرة أسلوبية هي الدلالة على العذاب الأليم في جهنم بوصفها مكاناً هو المأوى والمثوى، ومن تتبع السياق العام للخطاب القرآني تبين لي أن أهل العذاب المقيم، هم- على ما تدل تلك السياقات -: الكافرون والمشركون والظالمون والمنافقون والمكذبون، والفاسقون، وأعداء الله، ومن أحاطت به سيئاته...،

والتصوير القرآني يظهر أنهم فيها مهانون، أشقياء، كالحون، متخاصمون، يلعن بعضهم بعضًا، ومما جاء من أسماء المفعول مما له إسهام في تصوير عالم العذاب والشقاء والإهانة، وأهل هذا العالم، أنهم (ملعونون)[٧]، قيل: اللَّعْنُ هو: الطَّرْدُ والإبعادُ على سبيلِ السُّخْطِ، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبةٌ[٨]. وقيل: مطرودون، منفيُّون[٩].

ولا ريب أن استجلاء دلالة هذه الصفة في السياق العام للخطاب القرآني يفيد في مقاربة حقيقة الدلالة؛ فاللعنة فيه إنما تحل على القاتلين، والكافرين، والظالمين، والمنافقين،

---

(١) الرحمن٥٦، وانظر: الصافات ٤٨، وص ٥٢

(٢) الرحمن ٧٢

(٣) انظر: التعبير القرآني ٢١٤

(٤) يونس ٢٤

(٥) شرح شذور الذهب ١٠٢

(٦) معاني الأبنية ٥٣- ٥٤

(٧) إشارة إلى قوله تعالى (ملعونين أينما ثقفوا) الأحزاب ٦١

(٨) المفردات (لعن)

(٩) الطبري ١٠/ ٣٣٤

والكاذبين، وناقضي المواثيق، والذين يؤذون الرسول، ويقذفون المحصنات،... ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾[1]، على هذا فإن النظرة المتكاملة إلى السياقين العام لمادة (لعن)، والسياق الخاص لـ (ملعونين) تدل على قيمة تعبيرية إيحائية تتجلى التكثيف الكامن في هذه الصفة.

و أصحاب النار {مَحْجوبون}[2] عن ربِّهم، وأهل العلم بالتفسير مختلفون في معنى الحجاب؛ قيل: هو ما يَمْنَعُ من وصول لذةِ أهلِ الجنة إلى أهل النار[3]، وهي رؤية الخالق عز عز وجل، وقيل: لا يرونه، واللهُ لا يراه إنسان، ولكن الحجب هنا معنوي مجسم[4] كما وصف أهلُها بأنهم من {المَقْبوحين}[5]، وهي صفة فيها إيحاء جعل أهل التأويل يقولون: أي أي من المَوْسومين بحالة مُنْكَرَةٍ وذلك إشارة إلى ما وَصف اللهُ تعالى به الكفار من الرَّجاسة والنجاسة، ومن سحبهم بالأغلال...، يقال: قَبَحَهُ اللهُ عن الخير، أي نحَّاهُ[6] وقال ابن عباس: من المُشَوَّهين في الخلقة بسواد الوجهِ، وزُرْقةِ العيون[7]، ويلاحظ أن القرآن لم يستعمل من مادة (قبح) إلا هذه الصفة.

وقد يُعَبَّرُ باسم المفعول عن عقوبات متدرِّجة مضاعَفة من المهانة التي تصيب من كان جزاؤه النار فهو يُلقى فيها: ﴿مَلُوماً مَّدْحُوراً﴾[8]، ويصلاها: ﴿مَذْمُوماً مَّدْحُوراً﴾[9]، فمضاعفة المهانة، أوحت بها مضاعفة الصفات، وإن كانت شدة المهانة متفاوتة نسبيًا؛ فذِكْرُ اللومِ تنبيهٌ على أنه إذا لم يُلَمْ لم يُفْعَلْ فيه ما فوقه؛ من الذَّمِّ على ما أضاع من عهدٍ، ومن الدَّحْرِ: بمعنى الطَّرد والإبعاد[10]. ومن تَكْبيلِ كثير منهم بالقيود: ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾[11]. وقيل: مذمومًا في نعمة الله، مدحورًا في نقمة الله[12]، وقيل: مَلُومًا في عبادة

(١) النساء ٤
(٢) إشارة إلى قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين ١٥
(٣) المفردات (حجب)
(٤) مشاهد يوم القيامة ١٩٩
(٥) جاءت هذه الصفة في قوله تعالى (ويوم القيامة هم من المقبوحين) (القصص ٤٢)
(٦) تفسير القرطبي ٢٥٧/١٣.
(٧) المفردات (قبح)
(٨) الإسراء ٣٩
(٩) الإسراء ١٨.
(١٠) المفردات (دحر)
(١١) ص ٣٨
(١٢) الطبري ٨/ ٨٣

الله، مدحورًا في النار[١]. فالتدرج وفق تزايد الشدة يكون: اللوم، فالذم، فالدحر. ويلاحظ أن الخطاب القرآني قد اكتفى من هذه المواد بأسماء المفعول فقط.

والنار بوصفها مكانًا يضيف إلى العذاب عناصر أخرى تعزز الألم والمهانة؛ ذلك أن عليهم نار {مُّؤْصَدَةٌ} [٢] أي: مغلقةٌ مطبَقةٌ، فلا ضوءَ فيها، ولا فرجَ، ولا خروجَ منها[٣]، وإذا كانت مؤصدة قد قرئت بتخفيف الهمز وتحقيقه، وهما لغتان، فإن اختيار الهمز له دلالته، ذلك أن الهمزة حرف ثقيل شديدٌ، وهو أثقل من الواو[٤]، فاختيار الهمزة يناسب ثقلَ ذلك اليوم وصعوبته وشدَّتَهُ، فإذا قال الشخص: (مُؤْ) كان كأنه يُعاني من أمر ثقيل. وقد ذكر في أول سورة (الهُمَزَة): ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، فدعا عليهم بالهلاك الدائم الذي لا ينقطع، ورفْعُ الويل يُفيد الثبوتَ، فناسب الدلالة على الدوام أن يقول: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ، فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[٥]، للدلالة على الاستيثاق من غلق الأبواب.[٦]

صفوة القول:

ــ اضطلعت أسماء المفعول بقيم متعددة؛ إبلاغية، تنبيهية، إنذارية، هدفها أهل الدنيا، وإن كانت الأحداث تخص أهل الآخرة.

ــ سياق بعض أسماء المفعول الخاص يكثف السياق العام، ويترابط معه كما في (ملعونين)، وبعضها الآخر اقتُصر في استعماله على سياق خاص، ولا عام له، كما في (ملومًا، ومذمومًا، ومدحورًا)، فلم يرد من موادها شيء.

ــ تضافرت عناصر المتخيل والمنظور للدخول إلى عمق الأشياء والقيم المعنوية للكشف عما تعجز الحواس عنه.

ــ يمكن ربط دلالات أسماء بغير غرض من أغراض التعبير: منها أن اسم المفعول بما في بعضه من دلالة على الثبوت يتناسب مع العذاب المقيم الذي خُصَّ به أهل النار؛ قال تعالى: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[٧] ومنها أنه جرى طَيُّ ذكرُ الفاعل حين استخدام اسم المفعول ربما للعلم به كما في (ملعونين)، لأن الفاعل صُرِّحَ به في

---

(١) الطبري ٨/ ٨٣

(٢) البلد ٢٠

(٣) الطبري ٣/ ٤٥٩، وابن كثير ٤/ ٥١٦

(٤) الخصائص ٣/ ١٤٣

(٥) الهمزة ٨-٩

(٦) انظر: أبنية المعاني ٢٨٠- ٢٨٢

(٧) التوبة ٦٨

مواضع أخرى كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لعنَ الكافرين وأعدَّ لهم سعيراً﴾(١). وربما طُوِي ذكر الفاعل للإبهام كما الحال مع (المحجوبين، والمقبوحين)، بدليل أن كيفية الحجب ليست معلومة، وأن حال المقبوحين ليست واضحة في أذهان المفسرين وربما طوي ذكرُهُ للدلالة على التعميم كما في (ملوم)، فقد يقع اللوم من الله عز وجل ومن خزنة النار، ومن الملومين أنفسهم. . ومن غيرهم.

وربما طُوِي ذكرُهُ مع أحداث العذاب والنقمة والغضب كما عرفنا من قبل في قوله: ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾(٢)، وهذه ظاهرة أسلوبية فُسِّر بها طي ذكر الفاعل في كثير من الأفعال التي جاءت مبنية للمجهول؛ ومنها: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ القيامة(٣)، ولم يقل (أن نَفْعَلَ بها) بإسناد الفعل إلى ذاته العلية، لأنه لم يرد أن ينسب إيقاع هذه الكارثة، وهذا الشرَّ المستطيرَ إلى نفسه كما هو شأن كثير من التعبيرات التي لا يَنْسبُ اللهُ السوءَ إلى ذاته العليّةِ(٤).

ب ـ العدول عن التعبير بالفعل المجهول إلى التعبير باسم المفعول :

ثمة مواضع في القرآن الكريم أوثر التعبير باسم المفعول على التعبير بالفعل المبني للمجهول، منها :

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾(٥)، فإيثار اسم المفعول {من المسجونين} على لَتُسْجِنَنَّ ليس لتحقيق التناسب في الفواصل فحسب، بل لتحقيق أمر معنوي أيضاً، وهو لأجعلنَّكَ واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عادة فرعونَ أن يأخذَ من يُريدُ سجنَهُ فيطرحه في هُوَّةٍ عميقةٍ لا يَبْصِرُ فيها، ولا يَسْمَعُ، فكان ذلك أشدَّ من القتل(٦). والتعبير بالفعل يحتمل أن يكون تهديداً بسجنه فحسب، أما التعبير بالصفة، ثم جَعْلُ الموصوفِ بها واحدًا من جَمْعٍ، فإنه يفهم منه أن الصفة المذكورة كالسّمة للموصوف ثابتةِ العُلوق به.

---

(١) الأحزاب ٦٤

(٢) الفاتحة ٧

(٣) القيامة ٢٥

(٤) معاني الأبنية ٢٢٠-٢٢١

(٥) الشعراء ٢٩

(٦) الكشاف ٣/ ٢٠٨، وانظر: الظواهر النحوية في فواصل القرآن الكريم ٣٠٩

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [1]، فقد جرى التعبير بالصفة المشتقة (المُخْرَجين) دون الفعل (لَنُخْرِجَنَّكَ)، لأنه أبلغ، فقوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾، أي: من جملة من أخرجناه من بين أَظْهُرِنا وطَرَدْناهُ من بلدنا، ولعلهم كانوا يُخرجون مَنْ أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به، واحتباسٍ لأملاكه، وأشباه ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ [2]، فهذا مما استُشهد به على عدول البيان الإلهي عن الفعل الدال على المستقبل، وهو (سيُجمَع) إلى اسم المفعول {مجموع}، لما فيه من الدلالة على ثبوت معنى الجمع لليوم، وأنه الموصوف بهذه الصفة، وموازنة هذا القول بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ [3] يدلُّ على صحة ما سبق. [4]

د- التعبير باسم المفعول ومناسبة السياق العام :

مواضع كثيرة من البيان الإلهي يمكن أن يُستشهَدَ بها على مناسبة اسم المفعول للسياق العام للسورة إضافة إلى تأديته للقيمة التعبيرية في الجملة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[5]، وفي سورة المعارج[6] لم تذكر كلمة (المنفوش)، قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾، فهل ناسبت زيادة المنفوش السياق الذي وردت فيه ؟: وفي الإجابة يُذْكر ما يلي:

١- التوسع والتفصيل في اليوم الآخر في سورة (القارعة) حسَّن ذكر الزيادة (المنفوش)، بخلاف سورة (المعارج) التي تقوم على الإجمال في ذكر أحداثه.

٢- ذكرُ اليومِ الآخر في سورة (القارعة) أَهْوَلُ وأشدُّ من ذكره في سورة (المعارج)، فناسب هذا التهويل والتعظيم أن يذكر أن الجبال تكون كالعهن المنفوش.

٣- ذِكْرُ (القارعة) في أول السورة يناسب النفش، فالقارعة من القرع، وهو ضرب شيء على شيء، ونفش الصوف هو أن يُقرعَ بالمِقرعة، فذِكرُ القارعةِ أنسبُ شيء لهذا التعبير.

٤- تحقَّقَ في ذكر (المنفوش) المناسبةُ في الفواصل، ففي القارعة قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾.

---

(١) الشعراء ١٦٧

(٢) هود ١٠٣

(٣) التغابن ٩، وانظر: الشورى ٧

(٤) البحر ١/٣٠، وروح المعاني ١/ ٩٧

(٥) القارعة ٥

(٦) المعارج ٩

٥- والقرع يناسب ﴿الفَراش المبثوث﴾ أيضًا؛ لأنك إذا قرعتَ طار الفراشُ وانتشر؛ فكذلك أحوال الناس في انتشارهم، وتفرُّقهم، وذهابهم، ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه، وعن الفراء أنهم «كَغَوْغَاءِ الجَرادِ يَجولُ بعضُهم في بعض»[١].

٦- وفوق هذا كله فقد تم التعبير عن أحداث ذلك اليوم من تبدل في نظام الكون، وبعثٍ ونشورٍ وجزاءٍ باسم المفعول، ويشكل ذلك ظاهرة أسلوبية، عرفنا جانباً من ذلك فيما سبق ذكره، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى في وصف ما يُصيب الجبالَ إذا وقعت الواقعة: ﴿فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً﴾[٢] وأصل البثِّ: التفريق وإثارة الشيء، كبثِّ الريح التراب[٣]، وقيل: الهَبَاءُ المنبثُّ: الذي يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشررُ، فإذا وَقَعَ لم يكن شيئاً[٤] وتُلحَظُ في (مُنْبَثًّا) مطاوعة تفيد أنَّ ما يجري للجبال هو انقيادٌ سهلٌ لمشيئةِ الحيِّ القيوم. ومن ذلك قولُه تعالى في وصف حال من أثقلهم الغُرم والوزر يوم يُكْشَفُ عن ساقٍ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾[٥]، والغرام: ما ينوب الإنسان من شدة ومُصيبة، قال قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾[٦]، ومن ذلك قوله تعالى في إشارة إلى النشور والحشر: والحشر: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[٧]، والتعبير بالاسم (لمجموعون)، ولم يقل سيجمعون، والتوكيد الذي في العبارة (إنَّ، واللام)، فيهما دفْعٌ لمزاعم أولئكَ الذين يُنكرون البعث بعد أن صاروا تراباً وعظامًا. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[٨]، وأصل الوِرْدِ قَصْدُ الماءِ، واستعمل في غيره، والوِرْدُ يوم الحُمَّى إذا وردت، واستُعْمِلَ في النار على سبيل الفظاعة.[٩]

ومما ناسب فيه اسمُ المفعول السياقَ العامَّ للسورة قولُهُ تعالى في خطاب موسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[١٠]، في حين خاطبه في سورة القصص بقوله تعالى: ﴿إنكَ من الآمنين﴾، فقد ذُكر أن المقام في سورة القصص مقام

---

(١) الطبري ٦٧٦/١٢، وانظر: معاني الأبنية ١٩٨ – ١٩٩.
(٢) الواقعة ٦
(٣) المفردات (بث)
(٤) ابن كثير ٣٦/٤
(٥) الطور ٤٠، والقلم ٤٦
(٦) الفرقان ٦٥
(٧) الواقعة ٤٩ – ٥٠
(٨) هود ٩٨
(٩) المفردات (ورد)
(١٠) النمل ١٠

الخوف، والخائف يحتاج إلى الأمن فأمَّنَهُ قائلاً: ﴿إنَّكَ من الآمنين﴾، أما في سورة النمل، فالمقام مقامُ التكريم والتشريف فقال: ﴿إنِّي لا يخافُ لديَّ المُرسلون﴾، فألْمَحَ بذلك إلى أنَّه منهم، وهذا تكريمٌ وتشريفٌ، وجاءت كلمة {لديَّ} مشعِرةً بالقرب، وهو زيادة في التكريم والتشريف.(١)

ج ـ اسم المفعول والتوكيد :

لوحظ دخول اللام المؤكدة على عدد من أسماء المفعول، ويكاد ذلك يشكل ظواهر أسلوبية تفيد درجة معينة من التوكيد، والتوكيد: الإحكام؛ يقال: وكّدتُ القولَ والعَقْدَ، وأكَّدْته: أحكمته. والتوكيد درجات، وقد لاحظ التدرجَ في التوكيد بعضُ أهلِ العلم؛ جاء في (الإتقان) :

«يتفاوتُ التأكيدُ بحسب قوةِ الإنكار وضَعفه، كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كُذِّبوا في المرة الأولى: ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾(٢)، فأكَّدوا بإنَّ واسميةِ الجملةِ، وفي المرة الثانية: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾(٣)، فأكدوا بالقسم، وإنَّ، واللام واسميَّةِ الجُمْلة لمُبالغةِ المخاطبين في الإنكار، حيث قالوا: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾(٤)».(٥)

ومما يُشكِّلُ ظاهرةً أسلوبيةً دخولُ اللام على اسمِ المفعول في أقوال من ينكرون اليوم الآخر بما فيه من بعث ونشور وجزاء، من ذلك:

– قولُهُ تعالى حكايةً عنهم: ﴿وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾(٦).

– وقوله: ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾(٧).

– وقوله: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾(٨).

– وقوله: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾(١) أي: أإنا لمُحاسبون ومَجْزيون بعدَ مصيرنا عظامًا، ولحومِنا ترابًا(٢).

---

(١) انظر: معاني الأبنية ١٠٩

(٢) يس ١٤

(٣) يس ١٦

(٤) يس ١٥

(٥) الإتقان ٢/ ٦٤– ٦٥، والتعبير القرآني ١٦١ –١٦٢

(٦) الإسراء ٤٩، ٩٨

(٧) الإسراء ٨٢، وانظر: الصافات ١٦، والواقعة ٤٧

(٨) النازعات ١٠

– وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾[٣].

وهذه الظاهرة الأسلوبية يلاحظ فيها أن اسم المفعول أدى دورًا مهمًا في التعبير عن آراء المكذِّبين باليوم الآخر، وكانت كلمةً محوريةً، وقد أصابَها التوكيدُ بدخول اللام عليها، وقد أخرجَ المكذبون عباراتِهم مُخرجًا خاصًا، وهو أن الاستفهام الذي جعلوه في أوَّلِ هذه العبارات، خرج عن غرضه الأصلي إلى العَجَبِ والإنْكارِ والتَّبعيدِ، وجعلوا عباراتِهم متدرجةً في الإنكار والتَّبْعيد، والمقارنةُ بين موضعيْنِ من حكاية القرآن الكريم لأقوالهم يدلُّ على هذا، وهما:

١– ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٤].

٢– ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾[٥].

فالجهةُ المنظورُ فيها في الحالة الأولى كونُهم ترابًا وعظامًا، والجهةُ المنظورُ فيها في الحالة الثانية كونُهم أنفسهم وآباؤهم ترابًا، ولا شُبْهة في أن الموضع الثاني أدْخَلُ عندهم في تبعيد البعث[٦]، ذلك أنَّ البِلى في الحالةِ الثانية أكثرُ وأشدُّ؛ وذلك أنهم أصبحوا ترابًا مع آبائهم، وأما الحالة الأولى فالبِلى أقلُّ، وذلك أنهم تراب وعظام، فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البِلى.[٧] أمر آخر هو على درجة من الأهمية في هذه الظاهرة الأسلوبية، وهو أنَّ المُكَذِّبين باليوم الآخر يستعملون أسماء المفعول بما فيها من دلالة على الجهل بالفاعل ليُعَزِّزَ ما هم عليه من إنكار وتبعيد؛ فهم لا يذكرون فاعلًا للبعث، ولا للإخراجِ، فهذه عندهم أحداث لا يعلمون لها مُحْدِثًا.

وضِمْنَ هذه السياقات ندرك قولَهُ تعالى في دفع مزاعمهم: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[٨]، وقولَه: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[٩]، ولاسيما في إيثار اسم المفعول (مجموع) على الفعل المستقبل (سيجمع) لما

---

(١) الصافات ٥٣

(٢) الطبري ٤٩٠/١٠

(٣) النمل ٦٧

(٤) الإسراء ٨٢

(٥) الإيضاح ١١٦

(٦) انظر: التعبير القرآني ٦٥ – ٦٦

(٧) هود ١٠٣

(٨) الواقعة ٤٩ – ٥٠

(٩) التغابن ٩

فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه الموصوف بهذه الصفة[١]، وضمن هذه السياقات يأتي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾[٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾[٣] وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾[٤]. بما في هذه الآيات من تأكيدٍ للجمع، ومن تبيانٍ للجامعِ الذي هو الله مالك يوم الدين، وإذا خصَّ المنافقين والكافرين بالذكر، فللدلالة على أنْ لا خيار لهم في ذلك، وإنكارهم لا يغيِّرُ في مشيئة الجامع.

د ـ اسم المفعول والنفي :

ثمة مواضع كثيرة جاءت فيها أسماء المفعول مصاحَبَةً بأسلوب النفي؛ نمثل لذلك بظاهرتين، هما:

أ- المواضع التي سبق فيها اسم المفعول بـ (غير). ب- المواضع التي جاء اسم المفعول في الخبر المنفي.

أما المواضع التي سبق فيها اسم المفعول بـ (غير) النافية، فقد أحصيت منها ثلاثة عشر موضعاً، منها :

- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[٥]
- ﴿عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٦]
- ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[٧]
- ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[٨]
- ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ﴾[٩]
- ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[١٠]

---

(١) انظر: المثل السائر ٢/١٨-١٩، ومعاني الأبنية ١٣

(٢) النساء ١٤٠، وانظر: آل عمران ٩

(٣) الكهف ٩٩

(٤) المعارج ٢٨

(٥) المعارج ٢٨

(٦) هود ١٠٨

(٧) هود ٧٦

(٨) النور ٢٩

(٩) الفاتحة ٧

(١٠) المؤمنون ٦، والمعارج ٣٠

– ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[1].
– ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[2].

والتدقيق في السياق القرآني الذي استُخدم فيه اسم المفعول يدل على غنى في الدلالة، وإيحاءٍ في المعنى، وجمالٍ في السَّبْكِ، فاختيارُ اسمِ المفعول (مَلومين) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ اختيارٌ لطيفٌ للأسباب التالية:

– الآيةُ تعني أن الذي يعتدي على أعراض الناس مَلومٌ على فعلِهِ.

– وهو ملومٌ من نفسه، ومن الناسِ لِمَا يُحدثُه في نفسه وفيهم من أضرارٍ وأمراضٍ ولاسيما عندما تقعُ فيه وفيهم.

– ومن حفِظَ نفسَهُ فهو غيرُ ملومٍ. ومن لم يحفظْها فهو من العادين بمعنى المُعتدين، بل من الكاملين في العدوان، المتناهين فيه[3].

– الصفات المذكورة في الآية ذات علاقة بالآخرين، وليست فرديةً، فالملومُ يقتضي لائمًا، والذي لا يحفظ فرجَهُ يُرسله فيمن لا يحلُّ له من أفراد المجتمع.

– اختيار التعبير عن هذه الصفات بالاسمية ﴿غير ملومين﴾، ﴿العادون﴾ للدلالة على ثبات هذه الصفات[4]

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[5]، فيه غنى في الإيحاء، يدل على ذلك ما ذكره أهل التفسير؛ فقد قيل: ومعنى (غير ممنون) غير منقوص، ولا منقطعٍ، وقيل: غير مُكَدَّرٍ بالمَنِّ[6]، وقد رأى بعضُهم أن العبارة تحتمل كلَّ هذا، هذا، فقال: «والحقُّ أنَّ كلَّ ذلك مُرادٌ، وهو من صفات الثواب لأنه يَجبُ أن يكون غيرَ مُنقَطِعٍ، ولا مُنَغَّصًا بالمِنَّةِ»[7]، فقال: غير ممنون ليجمع هذه المعاني كلَّها، ولم يقل غير مقطوع فيفيد معنى آخر.[8]

---

(١) فصلت ٨، والانشقاق ٢٥
(٢) التين ٦، وانظر: القلم ٣
(٣) انظر: الكشاف ٣/ ٣٥٧
(٤) انظر: معاني الأبنية ١٤٥
(٥) التين ٦
(٦) البحر ٢/ ٤٩٠
(٧) التفسير الكبير ٣٢/ ١١
(٨) انظر: التعبير القرآني ٣٤٥

وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[1]، فيه غير وجه محتمل من الدلالة؛ فقد قيل: غير مأمون أن ينالَ مَنْ عَصَاهُ، وخالفَ أَمْرَهُ[2]، وقيل: لا يأمنُهُ أَحَدٌ[3]، وقيل: غير مأمون: مأمون: اعتراضٌ مُؤْذِنٌ بأنَّه لا ينبغي لأحدٍ أنْ يَأْمَنَ عذابَهُ تعالى، وإنْ بالغَ في الطَّاعة.[4]

وهكذا نرى أن اسم المفعول المنفي فيه غنى في الدلالة ناتج من استعماله استعمالاً موحيًا، يُضاف إلى هذا مجاورةُ المعنى لضده حتى لو كان ذلك في الذهن، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ تعني: واقِعٌ، نازِلٌ، حاصِلٌ، وهذه المعاني تجاور في الذهن على الأقل النقيض وهو (مأمون)، وبالمجاورة بين الضدين يزداد المعنى وضوحًا.

وأما المواضع التي جاء اسم المفعول خبرًا منفيًا فقد أحصيت منها اثني عشر موضعًا، توزعت معانيها كما يلي:

١ــ اليوم الآخر: وفيه أقوال من ينكرون البعث والنشور والجزاء؛ كقوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[5]، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾[6] ﴿وما نحنُ بِمُعَذَّبين﴾[7]، وفيه إرادة الله في هؤلاء التي لا رادَّ لها في أنَّ جزاءهم النار.

٢ــ نَفْيُ تُهَم الكافرين عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما قوله تعالى: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[8]

٣ــ نفي أمور أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[9]، قال الراغب: «أي: لا يَفُوتُنا»[10]

صفوة القول: صاحب اسم المفعول أسلوب النفي فكان في المصاحبة ثراء في الأداء، وإيحاء في العبارة، وزيادة في الوضوح.

***

(١) المعارج ٢٨
(٢) الطبري ٢٣٩/١٢
(٣) القرطبي ١٨/ ٢٥٣
(٤) تفسير أبي السعود ٣٣/٩
(٥) الأنعام ٢٩، وانظر: المؤمنون ٣٧
(٦) الدخان ٣٥
(٧) الشعراء ١٣٨، وسبأ ٣٥، والصافات ٥٩
(٨) القلم ٢، وانظر: التكوير ٢٢
(٩) الواقعة ٦٠، وانظر: المعارج ٤١
(١٠) المفردات (سبق)

خاتمة :

بعد أن استعرضنا انتظام اسم المفعول في ظواهر أسلوبية ليدل على النعيم المقيم؛ أثاثًا وشرابًا وفاكهة وإنسانًا...، وعلى العذاب الأليم في جهنم بوصفها المأوى والمثوى، وقد بدا أهلها كالحِينَ، مُتخاصمينَ، محجوبين، مَلومينَ، مَذمومينَ، مدحورين، ملعونين، مقرَّنينَ في الأصفاد...

وبعد أن رأينا عدول القرآن عن الفعل المبني للمجهول إلى اسم المفعول لغرض بلاغيٍّ، ومناسبةَ اسم المفعول للسياقين العام والخاص، ومصاحبتَهُ للتوكيد والنفي... نخلص إلى النتائج التالية :

أولاً – جاءت أسماء المفعول مشحونة بقيم تعبيرية، إخباري، إبلاغية، تأثيرية، تنبيهية.

ثانيًا – اشتركت أسماء المفعول في جانبيها الأدائي التعبيري مع الفعل المبني للمجهول في الدلالة على قدر من الإبهام، وبالإبهام تتم محاكاة أحداث من اليوم الآخر.

ثالثًا – سياق بعض أسماء المفعول الخاص يكثف السياق العام للمادة، ويترابط معه.

رابعًا – يتضافر في السياقات التي وردت فيها أسماء المفعول المتخيل والمنظور للدخول إلى عمق الأشياء.

خامسًا – أدت أسماء المفعول غير غرض من أغراض التعبير؛ كالدلالة على التعميم، والثبوت، وطي ذكر الفاعل للعلم به، وطي ذكره مع أحداث النقمة والعذاب.

سادسًا – أكسب السياق القرآني أسماء المفعول طاقة تعبيرية فكان النماء والثراء والإيحاء، وأكسبها طاقة فنية جمالية، فكان الانسجام والتناسق والتفاعل والتنويع والتكثيف...

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

أولاً – الكتب المطبوعة:

- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) – المكتبة الثقافية، بيروت.
- أسرار التكرار في القرآن، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت٥٠٥ هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد العطار – دار الاعتصام.
- الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية، للدكتور محمد بلوحي.
- الأسلوبية والأسلوب، للدكتور عبد السلام مسدي – تونس ١٩٨٢.
- الأسلوبية وتحليل الخطاب، لنور الدين السيد – الجزائر ١٩٩٧ م
- إعجاز القرآن، للباقلاني، أبي بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الخامسة.
- الإعجاز في نظم القرآن، للدكتور محمد السيد شيخون – القاهرة ١٩٧٨ م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨ هـ)، تحقيق د. غازي زاهد – القاهرة.
- الأفعال الملازمة للمجهول، للدكتور مصطفى النماس، ١٩٧٨ م.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن حسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦ هـ) – بيروت ١٩٧٩.
- البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، للدكتورة رجاء عيد – الإسكندرية ١٩٩٣ م
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، المملكة العربية السعودية، مطابع النصر الحديثة.
- البلاغة والأسلوبية، للدكتور محمد عبد المطلب – القاهرة ١٩٨٤.
- التبيان في أقسام القرآن، للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) – دار الفكر.
- التحرير والتنوير، لابن عاشور، محمد الطاهر – تونس ١٩٨٤م.
- التراكيب الشائعة، للدكتور محمد علي الخولي – القاهرة ١٩٩٢.
- التعبير القرآني للدكتور فاضل صالح السامرائي، الأردن – عمان، دار عمار.

- التفسير البياني للقرآن الكريم، للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)- القاهرة، دار المعارف.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير، دار الأندلس – بيروت ١٩٨٦ م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار الفكر – بيروت
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، طبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١ هـ) تحقيق أحمد عبد العليم البردوني وآخرين– القاهرة ١٩٦٧ م
- التفسير القيم، لابن القيم الجوزية (محمد بن أبي بكر بن أيوب) جمع وترتيب محمد أويس الندوي، تحقيق حامد الفقي – بيروت ١٣٩٨ هـ.
- التفسير الكبير، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، المطبعة البهية العربية – ١٩٣٨ م
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق محمد علي النجار – بيروت.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة – القاهرة.
- دراسات مقارنة بين العربية والعبرية، للدكتورة سلوى ناظم الدبوسي _ القاهرة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لابن السمين الحلبي (أحمد بن يوسف)، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق وبيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) تحقيق علي عبد الباري عطية – بيروت ١٩٩٤م.
- شرح ابن عقيل، لابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، للدكتور صلاح فضل – القاهرة ١٩٩٨.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام عبد الله بن يوسف، تحقيق عبد الغني الدقر – دمشق ١٩٨٤ م.
- شفرات النص، دراسة سيميولوجية، للدكتور صلاح فضل – بيروت ١٩٩٩ م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، لمحمد بن علي الشوكاني.
- فقه اللغات السامية، لكارل بروكلمان، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب – الرياض ١٩٧٧ م.

- القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز أبادي (ت٨١٦ هـ) – مصر، المكتبة التجارية الكبرى.
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة – ١٩٦٦ – ١٩٧٧.
- الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) – إيران.
- اللسان (لسان العرب)، لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ ت هـ) – بيروت.
- المثل السائر، لضياء الدين نصر الله بن محمد الموصلي، ابن الأثير(ت ٦٣٧ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٩٠ م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصيف، وعبد الحليم نجار، وعبد الفتاح شلبي – بيروت.
- مشاهد القيامة في القرآن، لسيد قطب، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثامنة.
- مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق سيد أحمد صقر – مصر ١٣٧٣ هـ.
- معاني الأبنية، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الرسالة – بيروت ١٩٨٠ م.
- معاني القرآن، للأخفش (سعيد بن مسعده)، تحقيق الدكتور فائز فارس – ١٩٨١ م
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي – بيروت.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) – القاهرة
- المقتضب في اسم المفعول المعتل العين الثلاثي، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق الدكتور أمين عبد الله سالم – القاهرة ١٩٩٢.
- المقرب، لأبن عصفور، أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق عبد الستار السيد الحواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧١م
- من بلاغة القرآن الكريم، للدكتور أحمد بدوي – القاهرة ١٩٥٠.
- النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) – دار الكتب العلمية، بيروت.

ثانيًا – المصادر الأجنبية:

1-Anderson , Francis, I
Passive and ergative in Hebrew , aus ; h. goedieke (ed), near eastem studies in bonor of W.F. albrimore , 1979.
2-Bartin , G
Saggestions on the voic formation of the semitic verb jornal of royel Asiatic socity , volume fifteen , London , 1883.

ثالثًا ـ الدوريات :

- مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٢، العدد ١–٢، عام ٢٠٠٦ م.
- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٦١، تموز– كانون الأول ٢٠٠١ م.

رابعًا – المخطوطات :

- صيغة البناء للمجهول في اللغة العربية، أصولها وتطورها، رسالة ماجستير في اللغويات، إعداد: محمد محمود السيد حمودة، إشراف: الدكتور رمضان عبد التواب – ١٩٨٣ م، مكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس برقم ٢٦٣٤١
- الظواهر النحوية في فواصل القرآن الكريم، إعداد عائشة حسين عبد الله الأنصاري، إشراف الأستاذ الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، جامعة القاهرة، دار العلوم، قسم النحو والصرف.